

المدينة المنجمية بالدول العربية: من الصناعة المنجمية إلى صناعة السياحة (دراسة حالة مدينة خريبكة بالمغرب)

ندراوي المصطفى جواد البوردو

ملخص:

تتوفر بعض البلدان العربية على ثروات طبيعية مكنتها من إنعاش وتنمية اقتصادها، المغرب مثال حي لمثل هذه الدول، حيث يتميز بتواجد الفوسفات بكميات كبيرة جعلته من الدول الرائدة في إنتاج وتصدير هذه المادة. مدينة خريبكة من أبرز المدن المغربية التي تتمركز فيها مختلف المكونات التي تهتم بإدارة واستخراج وتصدير الفوسفات، ونحن على علم أن المدن المنجمية تعاني من مخلفات هذه العمليات، ورغم ذلك فإن المدينة مقبلة على تبني توجه جديد سيمكن من الاستفادة مخلفات الصناعة المنجمية وتحويلها إلى عناصر جذب للسياح. وهكذا فالمدينة مقبلة على التحول من الصناعة المنجمية إلى صناعة السياحة. من خلال بحثنا سنحاول الوقوف على هذا التحول في إطار ما يسمى "بالمنجم الأخضر" الذي يعتبر مشروعا ومحاولة جديدة ستمكن المدينة المنجمية من لعب دور سياحي مهم بالمغرب، وهكذا فإن هذا البحث له أهمية كبيرة بالنسبة لمعظم الدول العربية، خاصة تلك التي تعتمد على استخراج النفط، التي يمكنها أن تستفيد من هذه التجربة وتتجاوز سلبات الاستفادة من الثروات الطبيعية. من خلال ما تم تقديمه، ارتأينا طرح السؤال الإشكالي التالي: كيف سيتم التحول من الصناعة المنجمية إلى صناعة السياحة بالمغرب؟

الكلمات المفاتيح: صناعة السياحة، سياحة مستدامة، المنجم الأخضر، مدينة منجمية.

Abstract :Some Arab countries have natural resources that enabled them to revive and develop their economy. Morocco is a living example of such countries. The city of Khouribga is one of the most important Moroccan cities, where the various components concerned with the management, extraction and export of phosphates, we are aware that mining cities suffer from the remnants of these operations, yet the city is on the verge of adopting a new approach that will enable us to take advantage of the remnants of the mining industry and turn it into attractions for tourists. Thus, the city is about to shift from the mining industry to the tourism industry. Through our research we will try to identify this transformation within the Framework of the so-called "Green Mine", which is considered a new project and an attempt that will enable the mining city to play an important tourist role in Morocco. It can benefit from this experience and go beyond the disadvantages of taking over from natural wealth. From what has been presented, we thought posed the following problematic question: How will the transition from the mining industry to the tourism industry in Morocco ?

Key words : Key words: tourism industry, sustainable tourism, green mine, mining city.

تقديم

لقد أصبحت السياحة ظاهرة إنسانية ونشاطا ثقافي واجتماعي تخضع للعديد من المؤشرات والتغيرات المحلية والعالمية كما وصفت صناعة السياحة بالعملاق الاقتصادي الجديد والصناعة الأكثر نموا حيث انتقلت من مجرد إشباع الرغبات الإنسان المؤقتة في التمتع إلى السعي نحو التوسع المستمر والطلب المتزايد على خدماتها عدا ما تضيفه من دينامية على الاقتصاد وكعامل مساهم في النمو الدائم للتنمية المحيلة.

إن السياحة قطاع مهم أبان عن أهميته في اقتصاديات مجموعة من الدول، ويعد هذا القطاع من الحلول البديلة لتعويض النقص الحاصل في مؤهلات أخرى كالموارد الطبيعية مثلا كما أن القرن الواحد والعشرين هو "قرن صناعة السياحة" (ماهر، 1997، ص 17)، فلقد أصبح من الممكن صناعة السياحة في أي بلد كيفما كان حتى ولو كان هذا البلد صناعيا . المغرب من البلدان التي تهتم بصناعة السياحة وذلك لعدة اعتبارات أهمها اعتبار هذا القطاع من الركائز الأساسية في الاقتصاد الوطني، وهكذا نجد مجموعة من الفاعلين، من بينهم مجموعة المكتب الشريف للفوسفات (م.ش.ف.)، يساهمون بشتى الطرق في هذه العملية تماشيا مع الاستراتيجية العامة للبلاد على المستوى الاقتصادي.

من خلال هذه الدراسة سنحاول الوقوف على تجربة (م.ش.ف) الرائدة في مجال الصناعة المنجمية بالمغرب ، ليس من باب الوقوف على إنجازاتها في مجال الصناعة المنجمية ولكن من أجل الوقوف على أحد مشاريعها في مجال القطاع السياحي، هذه التجربة يمكن اعتبارها كنموذج يحتذى به خصوصا بالنسبة للدول التي تعتمد على اقتصاد الربيع. إن مشروع

المنجم الأخضر هو حقا خطوة نحو التحول من الصناعة المنجمية إلى الصناعة السياحية ، فهو يعكس مدى التزام مؤسسة المكتب الشريف للفوسفاط بالتنمية المحلية.

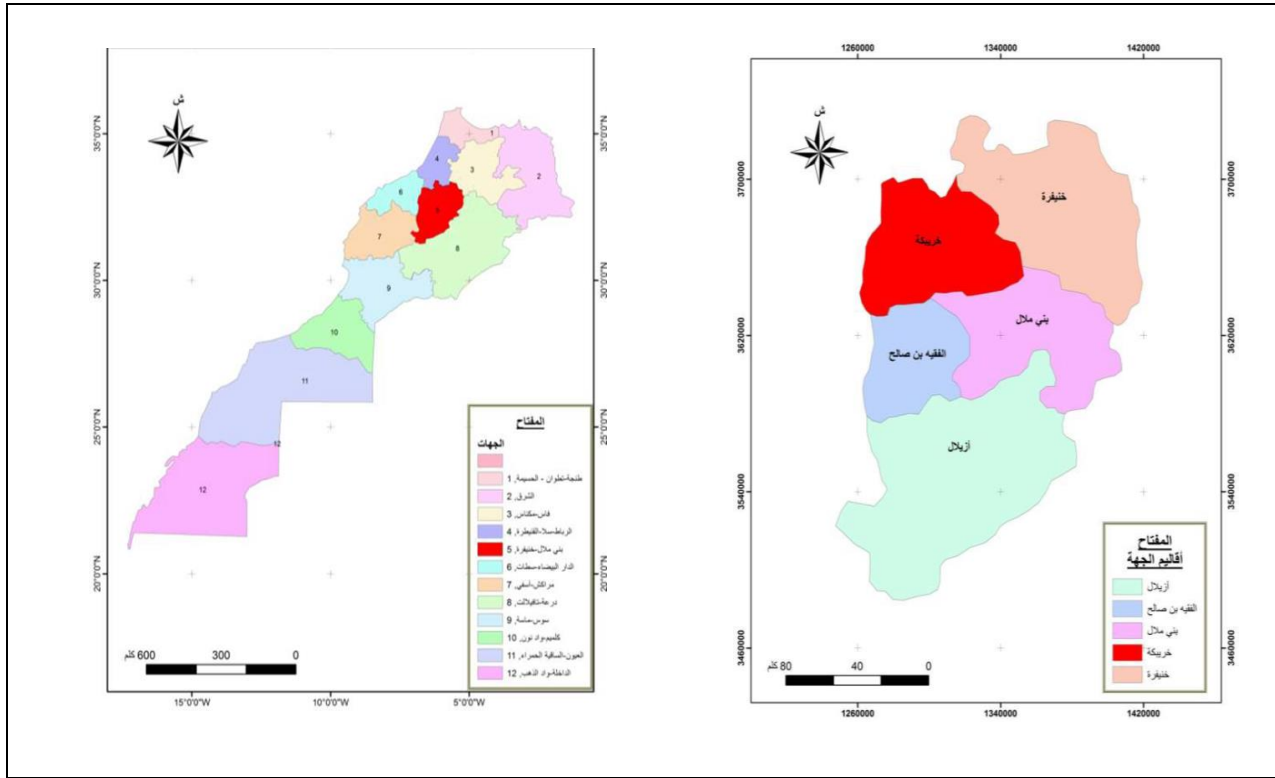
لكل بحث علمي أكاديمي خصائص ومميزات تميزه عن غيره من البحوث ، بحيث أن كل دراسة معينة تتطلب أن يتتبع فيها الباحث خطوات تتلاءم والظاهرة المدروسة بهدف خلق توازن بين المجال المدروس وموضوع البحث، وهكذا اتبعنا في دراسة موضوعنا على مجموعة من الخطوات كانت أغلبها ميدانية لتغطية النقص والتعظيم المعلوماتي حول هذا المشروع. اعتمدنا في هذه الدراسة على بعض الوثائق الإدارية الخاصة بمشروع المنجم الأخضر إضافة إلى مجموعة من الزيارات إلى موقع المشروع للوقوف على مدى جاذبية هذا المنتج وذلك من خلال مقابلة بعض الزوار للجزء الذي أنشئ من مشروع المنجم الأخضر (علما أن المشروع لازال في طور الإنجاز).

وللوقوف على أهمية هذا المشروع ارتأينا طرح السؤال الإشكالي التالي:
كيف سيتم التحول من الصناعة المنجمية إلى صناعة السياحة بالمغرب؟

1) توطين مجال الدراسة

يقع إقليم خريبكة شمال غرب جهة بني ملال-خنيفرة، يحده غربا إقليم سطات، إقليم خميسات من الشمال، وإقليم خنيفرة من الشرق إقليم بيني ملال والفيقيه بن صالح من الجنوب. وتبلغ مساحة الإقليم حوالي 4385 كم مربع، أي 6 ٪ من إجمالي مساحة أراضي المملكة.

خريطة 201: موقع مدينة خريبكة وطنيا وجهويا



المصدر: مونوغرافيا إقليم خريبكة 2017 (بتصرف)

تتميز مدينة خريبكة بموقعها الجغرافي ، حيث تقع وسط المغرب قريبة من أهم المدن المغربية فهي تبعد عن الدار البيضاء بحوالي 107 كيلومتراً، وتبعد عن العاصمة الرباط بحوالي 157 كيلومتراً، وتبعد عن مدينة مراكش بمائتي كيلومتر، كما أنها ترتفع عن سطح البحر بما يقارب 820 متراً كونها واقعة على هضبة الفوسفاط، المعروفة أيضاً بهضبة وردیغة.

(2) ارتباط ظهور مدينة خريبكة باكتشاف الفوسفات

عرفت مدينة خريبكة استقرارا بشريا لقبيلة ورديفة التي تنقسم بدورها إلى قبيلتين: أولاد البحر الكبير في الشمال الشرقي و أولاد البحر الصغير في الجنوب الغربي هاته القبائل كانت قبائل ترحال تعيش على الرعي و الزراعات البورية اللذان كانا يشكلان النشاط الاقتصادي الرئيسي كما أن أسلوب السكن السائد كان عبارة عن خيام و نسبة ضعيفة من السكان 5% هي التي كانت تقطن ببعض التجمعات السكنية كبوجنيية و بولونوار، فمدينة خريبكة لم تكن موجودة آنذاك، و كذا بعض التجمعات البشرية قرب الأضرحة أو نقط الماء كالعيون و الآبار.

ارتبط وجود المدينة باكتشاف الفوسفات سنة 1912، فاكشاف هذه الثروة الباطنية كان له انعكاسات جد مهمة سواء على المستويات الاقتصادية، الاجتماعية و المجرالية... و قد كان للمعمر الفرنسي دور أساسي في اكتشاف واستغلال هذه الثروة. من أجل ذلك تم إنشاء المكتب الشريف للفوسفات (م.ش.ف) سنة 1920م، الذي عمل على إدخال الكهرباء و الماء و تحديد الطرق و المسالك و إنشاء سكة حديدية فضلا عن مد الطريق نحو مدن أخرى كالدار البيضاء. وهكذا تم الشروع في الاستغلال المنجمي بمنطقة خريبكة قبل أن تبنى النواة الأولى للمدينة في مارس 1921م، في تلك المرحلة كان المركز الإداري للاستغلال المنجمي هو بوجنيية، هناك تمركزت إدارة (م.ش.ف) و جميع المصالح الخارجية لهذا المكتب. قررت إدارة (م.ش.ف) التخلي عن المدينة بوجنيية، في سنة 1924م، و عملت على نقل الإدارة إلى مرتفع يتجاوز 700 متر و هي منطقة مشرفة و بعيدة عن التعرية النهرية و في نفس السنة بدأ البدو يتجمعون حول هذا الموقع الجديد مكونين بذلك تجمعات سكنية كانت خطوة نحو تغيير مهم في أشكال الاستغلال التي سادت من قبل، و نقصد هنا الانتقال من حالة البدو و الترحال إلى حالة الاستقرار، مما دفع بالسلطات المحلية (المراقبة المدنية) سنة 1924 بإعداد سوق تباع فيها الماشية و الحبوب، فصار الموقع المنجمي عبارة عن سوق استهلاكية تحيط بمنطقة خريبكة مجموعة من الأكواخ (النوالات).

صورة 2: مساكن العمال

صورة 1: مساكن الأطر

المصدر: <http://lesanciensdekhga.canalblog.com>



قام (م.ش.ف) بنهج سياسة الدعاية من خلال حملة في المناطق الجنوبية (سوس) بهدف تشجيع الهجرة للمنطقة، وكان من بين الإجراءات التي جعلت هذه السياسة تعطي نتائجها، هو البرنامج السكني الذي قامت به المجموعة، و يهدف إلى بناء عدد كبير من المساكن تتكون من مساكن كبيرة على شكل فيلات للأطر الأوروبية، و بنايات جماعية للعمال، فمابين 1924 و 1929 تم بناء 110 بناية للعزاب، و 92 بناية للعائلات، و 23 عمارة بمدينة خريبكة، و تعتبر هذه العمليات أول ورش ضخم للبنائات الكبيرة بمنطقة ورديفة (Boulkjam, 2017, P 13-36).

3) الانتقال من المدينة المنجمية إلى المدينة السياحية

لطالما كانت أهداف (م.م.ش.ف) تركز على القطاع الصناعي وذلك من خلال الاستغلال المنجمي بمنطقة خريبكة وإنشاء البنية التحتية التي تسهل هذه العملية، حتى أن المدينة التي كان من المفروض أن تكون في مقدمة المدن المغربية الكبيرة لازالت لم تصل إلى المستوى التنموي المطلوب. إن مجمل تدخلات (م.م.ش.ف) في منطقة خريبكة تبقى غير كافية مقارنة مع ما يعطيه تراب المنطقة من ثروات. لقد تمكنت (م.م.ش.ف) من تغيير رؤيتها التنموية المخصصة لمنطقة خريبكة وذلك بطرحه لمشروع تنموي جديد بعيد كل البعد عن مجال الصناعة، إنه مشروع يعد خطوة نحو الاستثمار في القطاع السياحي. تتجلى الرؤيا الاستراتيجية ل(م.م.ش.ف) على مستوى المدينة في مشروع المنجم الأخضر الذي يعد ورشا ضخما في المجال السياحي على الصعيد الوطني حيث سيكون قطبا سياحيا متميزا يمكن لمدينة خريبكة أن تضاهي به باقي الأقطاب السياحية المغربية الأخرى. سيقام المشروع على مساحة تقارب 300 هكتار حيث سيتحول الموقع إلى منطقة خضراء واسعة، يتم التنقل فيها بشكل ملائم سواء بالنسبة للراجلين أو مستعملي الحافلات الصغيرة التي تشتغل بالكهرباء أو العربات المجرورة بالاعتماد على الطاقة الشمسية والريحية وانطلاقا أشغال تهيئة المنجم الأخضر بالمدينة في شهر شتنبر 2007 داخل المدار الحضري بكلفة مليار و500 مليون درهم. ويهدف هذا المشروع إلى إعادة التأهيل المستمر للمنشأة المنجمية القديمة للمكتب الشريف للفوسفاط وتشجيع التنمية البيئية، الاقتصادية والاجتماعية لمدينة خريبكة ونواحيها والارتقاء بالنشاط الثقافي بها وتتضمن الأشغال بهذا المشروع بناء مجمع اقتصادي وثقافي (مدينة للعلوم ومسرحا ومتحفا فلاحيا بالهواء الطلق) ومجمعا سكنيا وسياحيا يضم عمارات تحتوي على 1600 شقة و 128 فيلا و 4 قرى للاصطياف و أحواضا اصطناعية وفضاءات خضراء وملاعب رياضية متعددة الاختصاصات(نادي للفروسية ونادي للقنص وملعب للغولف والتزلج على الثلج الاصطناعي وميدان للتزلج وأخر للدراجات).

صورة 3: مشهد كثبان الفوسفاط بضواحي مدينة خريبكة



المصدر: عدسة الباحث 2019

إن المشهد السائد بضواحي مدينة خريبكة يوحي للمشاهد وكأنه أمام تشكيلات تضاريسية متنوعة، ولكن في حقيقة الأمر فالمشهد المصور هو عبارة عن مخلفات عمليات استخراج الفوسفاط من مناجم هضبة الفوسفاط التي تقع فوقها مدين خريبكة، وفي الأفق تظهر جبال الأطلس المتوسط المكسوة بالثلج. وهكذا فإن التفكير في تحويل هذه الكثبان إلى منطقة للتزلج فوق الثلج الاصطناعي، كما جاء في مشروع المنجم الأخضر، سيكون خطوة إيجابية نحو تحقيق البعد السياحي المراد للمدينة. كما أن المشروع يهدف إلى إنشاء منشآت للرياضات الصعبة والقصوى (الطيران المنحدر والقفز على المطاط وسباق السيارات والدراجات النارية والفروسية التقليدية).

صورة 4: التصميم الهندسي لمشروع المنجم الأخضر



المصدر: الجماعة الحضرية لمدينة خريبكة، مصلحة التعمير والممتلكات الجماعية 2015 م

علاوة على تشجيع السياحة العلمية فإن هذا المشروع المندمج سيعزز بإحداث متحف للمنجم على مساحة 2813 مترا مربعا بكلفة مليون درهم (مندوبية وزارة الثقافة بخريبكة).

يرمي هذا المتحف إلى حماية ورد الاعتبار لتراث ذي قيمة تاريخية كبيرة وإظهار الغنى التاريخي للمدينة وتطوير البحث العلمي في مجال علم الاستحاثات الذي يبحث في البقايا المتحجرة للكائنات الحية التي عاشت بالمنطقة قبل نحو 30 مليون سنة وتعميم تاريخ الفوسفاط عبر عرض الحفريات و التعريف بالمجهودات المبذولة في مجال تطوير استغلال مادة الفوسفاط في إطار التنمية المستدامة. سينجز المتحف ضمن شراكة بين المكتب الشريف الفوسفاط والمتحف الوطني للتاريخ الطبيعي بفرنسا ووزارة الطاقة والمعادن وجامعة القاضي عياض بمراكش وشعيب الدكالي بالجديدة. كما سيتم بناء ممر باطني سينجز داخله جزء من المنجم للإعطاء فكرة حقيقية للزوار عن تقنيات الاستغلال الباطني وتوضيح الطبقات الجيولوجية للحوض المنجمي. إن مجموع هذه المنشآت ستلعب دورا مهما في الجذب السياحي، لاسيما وأن الإقليم بأكمله يفتقر لأنشطة سياحية وذلك لكونه يتوفر على مؤهلات صناعية جعلته فيما مضى يصنف ضمن المجالات الصناعية.

سيمكن انجاز مختلف هذه المشاريع، كذلك، من حماية المحيط البيئي و إعادة تأهيل الأوراش المجالية وتحسين المنظر الطبيعي لمناطق الاستخراج وتثبيت التربة الناجمة عن عملية الاستخراج ووقايتها من عوامل التعرية وتوفير الظروف الملائمة لعيش بعض الأنواع الحيوانية المهددة بالانقراض. كما سيمكن من الحد الكلي من الأضرار الناجمة من فيضانات قناة الأوحال الناتجة عن غسل الفوسفاط والتي كانت تغمر أحيانا الحقول المجاورة والتقليل من انبعاث الغبار ومن اهتزازات الأرضية نتيجة استعمال المتفجرات لاستخراج الفوسفاط.

(4) يعرف "مشروع المنجم الأخضر" تأخرا كبيرا في إنجازه.

أعطيت الانطلاقة لمشروع "المنجم الأخضر" مند شهر شتنبر من سنة 2007، وذلك بعد زيارة لعاهل المملكة إلى مدينة خريبكة، منذ ذاك الحين والأشغال قائمة إلى أن انتهت المرحلة الأولى من المشروع، وبعد ذلك حدث شبه توقف للأشغال دونما أعمار مقنعة.

صورة 5: إعطاء الانطلاقة للبدء في إنجاز "المشروع الاخضر" من طرف عاهل المملكة المغربية



المصدر: جريدة "le matin" المغربية 2007

حسب رئيس فيدرالية جمعيات التنمية والبيئة وشؤون الهجرة، أن "واضعي مشروع "المنجم الأخضر" لم يقوموا بدراسة الجدوى منه قبل إعطاء انطلاقته من طرف ملك البلاد"، مضيفاً أن "مشروع إنشاء قرية سياحية بالمنطقة ما كان له أن يتضمن بناء عمارات وشقق سكنية، باعتبارها هدية للوبي العقاري، وتشجيع واضح للزحف الإسمنتي الذي طغى على المساحات الخضراء داخل المدينة وجوارها". إن المفروض أن يقتصر مشروع "المنجم الأخضر" على الجانب السياحي والتنمية الاقتصادي والاجتماعي في المدينة، من أجل تشجيع السياحة وخلق فرص شغل للعاطلين، ولكن غياب المقاربة التشاركية في إنجاز هذا الورش كانت سبباً في تعثره. إن التخطيط السياحي له دور رئيسي في تنمية المناطق (حسناً، 2017، ص13)، وإذا غاب التخطيط فإن المشروع سيكون بعيداً كل البعد عن الأهداف المسطرة له.

خلاصة

تعد مساهمة المؤسسات الصناعية في التنمية ضرورة لا غنى عنها، فهذه المؤسسات تراكم العديد من التجارب كما أنها تتوفر على رأس مال كبير يسهل عليها التدخل لتحقيق التنمية على الصعيدين الوطني والمحلي. إن تجربة (م.م.ش.ف) في صناعة السياحة، بمنطقة تعد مصدراً للفوسفاط، هي حقا نقطة تحول مهمة في تاريخ المؤسسات الصناعية وتثير العديد من التساؤلات حول طبيعة هذا التوجه. نحن نعلم أن منطقة خريبكة هي بمثابة منجم لمادة غير متجدد أي بعبارة أخرى أن الاستغلال المنجمي بهذه المنطقة لن يبقى مدى الحياة، وبالتالي فإن (م.م.ش.ف) شرعت في خلق مشاريع بديلة يمكن لها أن تحل محل الصناعة المنجمية تحسباً لإحدى النتيجتين: نفاذ كميات الفوسفاط التي تتواجد بمنطقة خريبكة أو الاستغلال لطبقات فسفاطية خارج الحدود الإدارية لخريبكة، وهكذا فإن (م.م.ش.ف) سيكون فاعلاً مستبعداً من التدخل في التنمية المحلية بمنطقة خريبكة وذلك بسبب ارتباطات جديدة مع وحدات مجالية أخرى. "مشروع المنجم الأخضر" هو مشروع تنموي يجمع بين خلق فرص سياحية ورؤيا تحافظ على البيئة بمدينة خريبكة، لكنه متعثر لم يكتمل لتحقيق الأهداف المسطرة.

إن نجاح هذه التجربة سيكون نجاحاً للتحويل من الصناعة المنجمية إلى صناعة السياحة، وستكون نموذجا يحتدى به في دول عربية أخرى، تعتمد على استخراج وتصدير الموارد الطاقية، لكي تخلق فرصاً أخرى تنموية.

المراجع:

- مونوغرافيا إقليم خريبكة 2017.
- مونوغرافيا جهة بني ملال خنيفرة. 2015.
- ماهر عبد العزيز. صناعة السياحة. دار زهران للنشر والتوزيع . 1997.
- عبيدة عبد السلام حسانات. أثر التخطيط السياحي على التنمية السياحية من وجهة نظر مدراء مكاتب السياحة. المنهل. 2017.
- المغرب في أرقام. 2015.
- النشرة الإحصائية السنوية لجهة بني ملال خنيفرة.
- مضر خليل عمر. الدراسة الميدانية في الجغرافيا. المطبعة المركزية-جامعة ديالي. 2011.
- N. Boulkjam. Une ville minière Marocaine : Khouribga. 2012

الإدارات:

- مندوبية وزارة الثقافة.
- إدارة مجموعة المكتب الشريف بخريبكة.
- بلدية مدينة خريبكة.